

Original Research

مقالة پژوهشی

مكانة سياق الصدور في خطب نهج البلاغة استناداً إلى موضوع الأخلاق الاجتماعية

سيد حيدر أشرف آل طه^{١*}، علي أسودي^٢

تأريخ القبول: ١٤٤٢/٠٦/١٩

تأريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٣/٠٥

١. أستاذ مساعد في القرآن والحديث في مركز تعليم اللغات بجامعة الإمام الصادق (ع)، طهران، إيران

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران

Original Research

The significance of the Context of Issuance in the Sermons of Nahj-ul-Balagha Based upon Social Ethics

Seyyed Haydar Ashraf Altaha^{*1}, Ali Asvadi²

Received: 2020/10/22

Accepted: 2021/11/14

1. Assistant Professor in Language Education Center of Imam Sadegh (PBUH) University, Tehran, Iran

2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2021.53386.1209

Abstract

Abstract: The context of issuing hadiths (traditions) refers to the cultural, political and social conditions of the society at the time of narration, and considering that a significant part of the traditions of the infallible Imams are based upon the needs of individuals or society of their time, coming to terms with the reason for their statements has a huge role in understanding their discourse. In the meantime, sermons will be more important in this case because they are based upon the requirements of the time and the thoughts of theologians. This research uses a descriptive-analytical approach and a library collection method to examine the reasons for the general issuance of sermons on the social ethics of the Islamic society in Nahj-ul-Balagha and based on the analysis of the text of sermons and the history and manners of Imam Ali has examined the reason for issuing sermons. The findings of the research indicate that Imam Ali in his sermons paid more attention to four central issues. The revival of morals and thoughts of the Age of Ignorance (Jahiliyyah), including ethnic and tribal prejudices, worldliness and ignorance of death and the hereafter by the people, forgetting the role and position of the Ahl al-Bayt in Islamic society and expressing the social morality of rulers and people are the four main axes in sermons. Also, based upon the needs of the society and the prevailing moral and social atmosphere, Imam Ali, in order to rectify and modify these components and guide the people on each of the above-mentioned issues, included special speeches in his sermons. The statistical community of each of the components in Nahj-ul-Balagha as a clear example of the words of the Amir al-Mu'minin can be considered an apt sign for the extent of his tribute to them.

Keywords: Reason for Issuance, Nahj-ul-Balagha, Social Ethics.

الملخص

يشير سياق صدور الأحاديث إلى الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية للمجتمع التي كانت سائدة في زمن صدور الحديث. مع الأخذ في الاعتبار أن جزءاً كبيراً من أقوال المعصومين (ع) كانت مبنية على احتياجات الأفراد أو المجتمع في عصرهم، فإن معرفة وفهم سبب صدور كلامهم له تأثير كبير في الفهم الصحيح لكلماتهم. في هذا الصدد، تكون الخطب أكثر أهمية في هذه الحالة لأنها تُلقى حسب متطلبات الوقت وأفكار المتحدثين. يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب الدراسات المكتبية لفحص أسباب الصدور العام للخطب حول الأخلاق الاجتماعية للمجتمع الإسلامي في نهج البلاغة واستناداً إلى تحليل نص الخطب وتاريخ وسيرة الإمام علي (ع). تشير نتائج البحث إلى أن الإمام علي (ع) قد أولى في خطبه اهتماماً أكبر لأربع قضايا محورية. عودة الأخلاق والأفكار الجاهلية، بما في ذلك التحيزات العرقية والقبلية والمادية وإهمال الموت والآخرة من قبل الناس، وتناسي دور ومكانة أهل البيت في المجتمع الإسلامي والتعبير عن الأخلاق الاجتماعية المتبادلة للحكام و الشعب هي المحاور الأربعة الرئيسية في الخطب. كما أن الإمام علي (ع) ألقى خطاباً خاصة بناء على احتياجات المجتمع والجو الأخلاقي والاجتماعي السائد، لتصحيح هذه المكونات وتعديلها وتوجيه الناس في كل من القضايا المذكورة أعلاه. يمكن اعتبار المجتمع الإحصائي لكل مكون من مكونات نهج البلاغة كمثال واضح لكلمات أمير المؤمنين (ع) علامة جيدة لمدى اهتمامه بها.

الكلمات الدلالية: سبب الصدور، نهج البلاغة، الأخلاق الاجتماعية.

*Corresponding Author: Seyyed Haydar Ashraf Altaha

Email: aletaha222@isu.ac.ir

* نویسنده مسئول: سید حیدر اشرف آل طه

المقدمة

من أهم قضايا فقه الحديث، والتي لها دور بالغ الأهمية في فهم كلام المعصومين (ع)، سبب صدور الحديث. وسبب الصدور للأحاديث الشريفة كعلم سبب النزول، لآيات القرآن الكريم (الحنفى الدمشقي، ١٩١١: ٣) ويشير إلى القضية أو الحدث الذي أدى إلى صدور حديث أو الحكم في وقته (السيوطي، ١٩٨٤: ١١، أسعد، ٢٠٠١: ٢٤). سابقاً، كان هذا العلم يقتصر على الواقعة التي وقعت قبل صدور الحديث أو السؤال المطروح، لكن شيئاً فشيئاً، فقد اتسع نطاق هذا العلم ودخلت الظروف التاريخية والفكرية والثقافية والاجتماعية للمجتمع والتي كانت سائدة في عهد المعصومين (ع)، والتي تعتبر سياقاً ثقافياً واجتماعياً لصدور الحديث من قبل المعصوم، إلى هذه المقولة وحظيت مصطلحات مثل سياق الصدور (مسعودي، ٢٠٠٥م، ص١٢٧؛ داوري، ٢٠١١، ص١٢١؛ رياحى ومسترجمي، ٢٠١٥م، ص١١٥) أو أسباب الصدور العامة (امانلو، ٢٠١٤م، ص٨٨؛ اشرف آل طه، ١٣٩٨، ص٥٥)، في مقابل سبب الصدور الخاص باهتمام الباحثين المعاصرين.

ومع ذلك، فإن العديد من الروايات (مثل العديد من الآيات التي لم يذكر لها سبب النزول) تبدو للوهلة الأولى أنها لا تقتزن بسبب للصدور (الحنفى الدمشقي، ١٩١١: ٣) ؛ لكن يجب أن نعلم أن الروايات صدرت في ظروف معينة، وفهمها الدقيق يعتمد على الاهتمام بفهم هذه الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية و... لهذا الحديث (معارف، ٢٠٠٦: ٥٤). اضافة على أن العديد من الروايات الأخلاقية والفقهية والتاريخية... صدرت في انسجام خاص مع الظروف والمواقف التي كانت موجودة في وقتها وسيؤدي إهمال تلك الظروف بالتأكيد إلى فهم غير مكتمل للحديث (معارف، ٢٠٠٦: ٥٤).

إن فهم حياة المعصومين وآدابهم، والظروف والمواقف التاريخية، والعلاقات السياسية والاجتماعية المختلفة، بما في ذلك العلاقات العرقية والقبلية، وفهم الحكام

والسياسات التي تحكم النظم السياسية والثقافية، وما إذا كان المعصومون يعيشون في ظروف التقية أو كانوا مبسوطي الأيدي أو مقدار سلطتهم السياسية، سيؤدي إلى فهم أفضل لكلامهم (سليمانى، ٢٠٠٤: ٧٠). ومن الطبيعي في هذه الأثناء أن تكون معرفة سياق إصدار الأحاديث والخطب التي تشير إلى الحالة الأخلاقية والاجتماعية والفكرية للمجتمع أكثر أهمية من الكلمات الأخرى مثل مسائل العقيدة.

يتمثل الغرض من هذه الدراسة في ذكر ورسم سياقات إلقاء الخطب المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية للمجتمع وقت إصدار نهج البلاغة، والتي يمكن الحصول عليها من خلال الفهم الصحيح للأجواء التي كانت السائدة في المجتمع والأخلاق والفكرية للعصر الذي كان يعيش فيه المعصومون. حاول أمير المؤمنين (ع) إصلاح أفكار مجتمعه وأخلاقه حسب الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك المجتمع وما يواجهه من تحديات، من خلال ذكر الأشياء والتأكيد عليها وترديدتها في خطباته. بمعنى آخر، يمكن القول إن الحالة الفكرية والجو الأخلاقي الذي يحكم المجتمع هو سبب صدور هذه الكلمات.

إن مراجعة خطب نهج البلاغة والمصادر التي ألفت حولها وكذلك المصادر التاريخية لصدر الإسلام تدل على أن كلام الإمام على (ع) حول الأخلاق الاجتماعية في نهج البلاغة، والذي صدر بناءً على الحالة الفكرية والجو الأخلاقي الذي كان يحكم المجتمع في ذلك الوقت، يمكن تفسيره في أربعة مجالات رئيسية: عودة الأخلاق الجاهلية بين الناس وعودتهم إلى معتقدات الجاهلية، والاهتمام المفرط بالدنيا وإهمال الآخرة، وتناسي مكانة أهل البيت في المجتمع الإسلامي، وشرح المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الديني.

إشكالية البحث

يمكن اعتبار المجتمع الإسلامى في عهد الإمام على (ع)، حيث يكون الإمام المعصوم على رأس شؤونه السياسية والاجتماعية، كمجتمع نموذجي للمجتمعات الأخرى؛

أي أجواء صدرت؟

٢. ما هي المواضيع التي تناولها خطب نهج البلاغة في الأخلاق الاجتماعية؟

٣. كم عدد الخطب التي وردت في نهج البلاغة في كل من الموضوعات المذكورة؟

فقد يفترض أن هذه الخطب قد صدرت على أساس الحاجات الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع آنذاك، وأهم ما ذكر فيها قضايا مثل تحذير الناس من الدنيوية والدعوة إلى الزهد وترك الثقافة والأخلاق الجاهلية، وعودة أهل البيت إلى الحضور الفاعل في المجتمع الإسلامي.

خلفية البحث

أما بالنسبة لسبب صدور الخطب في نهج البلاغة، فهناك دراسات عديدة من أبرزها أطروحة مسعود أمانلو. في أطروحته بعنوان "سبب الصدور ودوره في فهم النصوص، خطب نهج البلاغة مثلاً"، الأستاذ المشرف مهدي إيزدي والأستاذ المستشار عباس تقويان، عام ٢٠١٣م، جامعة الإمام الصادق (ع)، يتحدث المؤلف حول أسباب صدور خطب نهج البلاغة في ثلاثة محاور (سياسية، أخلاقية، عقائدية). نشر المؤلف نفسه مع ولي الله مهدي فر مقالاً في مجلة بحوث نهج البلاغة (٢٠١٤م) بعنوان "أسباب صدور خطب نهج البلاغة بناءً على تحليل الظروف الأيديولوجية لفترة خلافة الإمام علي (ع)" وفي عام ٢٠١٥ مع مهدي إيزدي في مقال بعنوان "دراسة سبب الصدور كأسلوب لنقد ودراسة مختلف شروح نهج البلاغة"، تم فحص دور سبب الصدور في نقد ودراسة التفاسير المختلفة لنهج البلاغة وقد تم نشر هذا البحث في مجلة دراسات القرآن والحديث (٢٠١٥).

تمّ أعمال أخرى في مجال سياقات الصدور أو أسباب الصدور العامة لخطب نهج البلاغة، أهمها مايلي: أثبت محمد حسن نادم في كتاب "الأصول الثقافية لنهج البلاغة" صحة إسناد نهج البلاغة إلى الإمام علي (ع) من خلال رسم الجو الفكري والثقافي للمجتمع والإشارة إلى المشاكل التي واجهها الإمام في حياته. تم نشر هذا العمل في عام ٢٠٠٥ من قبل مطبوعات أديان قم. في مقال بعنوان "الأجواء الاجتماعية والثقافية لخطب

لأن هذا المجتمع يقوم على وجهة نظر الإمام المعصوم وقد قام المعصوم بوصف هذا المجتمع في حالات كثيرة؛ ومن ناحية أخرى، فإن هذه الأوصاف والكلام والسلوك والقرارات وردود الأفعال من قبله (ع) في ذلك المجتمع، ليست فقط حجة دينية بل يمكن اعتبار تلك القرارات السياسية والأخلاقية والاجتماعية، هي القرارات المثالية في تلك الظروف.

وغني عن البيان أن الخطيب في خطبه يتحدث وفق مقتضيات الزمان والمكان (انظر: موسوي، ٢٠٠٢: ٢٠-٢٢) ويضبط موضوع ومحتوى خطابه بناءً على أفكار وأخلاقيات الجمهور؛ لهذا يمكن أن تعكس الخطبة أكثر من أي كلمات أخرى الوضع الفكري والأخلاقي والسياسي للمجتمع وهي أكثر أهمية في هذا الصدد. لكن الرسائل والحوارات الشخصية رغم افادتها العامة، سيكون لها مكانة مختلفة لأنها صدرت في جو خاص ولجمهور خاص.

وتجدر الإشارة إلى أن الجو الأخلاقي العام للمجتمع لا يشمل أخلاق أفراد ذلك المجتمع بالضرورة (سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي)، ولكنه يدرس الوضع الأخلاقي وهوية المجتمع كحقيقة واحدة ووعي جماعي. في هذا النوع من وجهات النظر الذي يتماشى أيضاً مع تعاليم القرآن الكريم بحسب كلام الشهيد مطهري، بالإضافة إلى الهوية الفردية للإنسان، يُدرس المجتمع أيضاً باعتباره واقعاً حياً جديداً. أي أنه بالإضافة إلى وعي وضمير وإرادة الأفراد، هناك وعي ورسالة وإرادة للمجتمع أيضاً يمكن اخذه بعين الاعتبار، وعلى حد تعبير القرآن الكريم، "للأمة" بغنى عن أفرادها، مصير ووعي ورسالة العمل الخاصة بنفسها (مطهري، ٢٠٠٥، ج ٢ ص ٣٣٦-٣٣٩، لمزيد من المعلومات انظر: هيئة تحرير مؤسسة نهج البلاغة، ١٩٩٤: ١٢٨).

من الواضح أن المكونات الأخلاقية للمجتمع تتشكل خلال عملية زمنية محددة وأن الأخلاق الاجتماعية للمجتمع في عهد الإمام علي (ع) قد تأثرت بالمكانة الأخلاقية وسياسات الحكام قبل حكمه.

تسعى هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

١. خطب نهج البلاغة في الأخلاق الاجتماعية، لماذا وفي

نهج البلاغة"، قام أحد داوري چلقائي بدراسة إحدى فوائد سياقات الصدور، وهي حل التعارضات البدائية، وحاول النظر في هذه التعارضات وحلها وفقاً للسياق الثقافي وأجواء الاجتماعية في عهد الامام علي (ع). نُشر هذا المقال في ربيع عام ٢٠١٠ في المجلة الفصلية للدراسات التفسيرية. في المجلة الفصلية ل نهج البلاغة (خريف ٢٠١٥) ناقش باقر رياحي مهر وسيد عيسى مسترجمي في مقال بعنوان "دور سياق الصدور في فهم نهج البلاغة" أهمية وضرورة فهم سبب الصدور في تفسير نهج البلاغة.

إلا أنه لم يتم العثور على أي أعمال حول موضوع هذا البحث، أي سياق إلقاء خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج البلاغة، وهذا البحث مبتكر من ناحيتين اثنتين: أولاً، تمت دراسة سياقات صدور خطب الأخلاق الاجتماعية بشكل متخصص، وثانياً، تم استخلاص سياق الصدور بناءً على تحليل كلام أمير المؤمنين (ع) في الخطب.

سياقات الصدور العامة لخطب الامام علي (ع) حول الأخلاق الاجتماعية

كان فن الخطابة في بدايات الإسلام الوسيلة الإعلامية الأكثر فاعلية وأهمية لإعلان وإصلاح وتنقيف المجتمع وأهله، وقد استخدم الإمام علي (ع) هذا الأسلوب، الذي تطور تطوراً وسيعاً بعد بعثة النبي الاكرم (ص)، في دعوة الناس وتوجيههم لدين الإسلام الحنيف (شوقي ضيف، د.ت، ج ٢: ١٠٦). وبحسب رأي بعض العلماء، بلغ هذا الفن أعلى مستوى من الاهتمام والتقدم في تاريخه في عهد أمير المؤمنين (ع) نظراً لشخصيته ولعدة أسباب أخرى (موسوي، ٢٠٠٢: ١٥).

من الواضح أن جزءاً من محتوى نهج البلاغة هو انعكاس لتعاليم الإمام علي (ع) عن المجتمع الإسلامي ووصف الظروف الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمجتمع أثناء حكمه، فماذا قال الإمام علي (ع) عن الناس والمجتمع في عصره وكيف وصف ذلك المجتمع؟ كيف قيّم أعراف المجتمع وشذوذاته آنذاك حسب المعايير الإسلامية؟ وأخيراً، كيف تصرف لتصحيح هذه العيوب

خلال فترة حكمه؟ إن من أهم وأفضل الطرق للتعرف على المجتمع زمن صدور كلام أمير المؤمنين (ع) هي مراجعة أقواله وتحليل كلماته في خطب نهج البلاغة. ولأن أمير المؤمنين (ع) كان حاضراً في تلك الفترة التاريخية من الزمن وبغض النظر عن دوره المحوري فيها، قام واهتم بمداية مجتمعه بنظرة عميقة، وفكر قوي، وحكمة بالغة في التعرف على القوانين والتقاليد التي تحكم التاريخ، فرسم لوح البصيرة والحكمة أمام الأنظار والعقول (دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦).

ومن الواضح أن عدد هذه الخطب وإحصائياتها في نهج البلاغة، كمؤشر هام على تأكيد الإمام علي (ع) على هذه القضايا وانتشار وتأثير هذه الشذوذات في المجتمع في ذلك الوقت. لذلك فقد قمنا في هذا البحث، واستمراً لذكر أسباب إلقاء الخطب العامة، بذكر عدد الخطب والإحصاءات المتعلقة بها في الموضوع.

فحص تاريخ صدر الإسلام بشكل عام وخطب نهج البلاغة وأسباب صدورها بشكل خاص، يدل على أن المكونات الأربعة المذكورة آنفاً والمتمثلة في الأخلاق الاجتماعية قد تم التأكيد عليها في خطب نهج البلاغة. بعبارة أخرى، في الخطب المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية للإمام علي (ع)، هناك أربعة محاور انبثقت من الوضع السياسي والثقافي والأخلاقي للمجتمع الإسلامي في ذلك الوقت وتعتبر هذه الحالات نوعاً ما سبباً لصدور خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج البلاغة.

١. عودة أخلاق الجاهلية إلى المجتمع الإسلامي

الجاهلية من القضايا المهمة التي أثّرت لأول مرة في القرآن الكريم، حيث سمي العصر الجاهلي بهذا الاسم بسبب عاداته وتقاليده وثقافته الخاطئة (الأحزاب / ٣٣). ولكن الدقة في استخدام هذه الكلمة في القرآن الكريم (آل عمران / ١٥٤ ؛ المائدة / ٥٠ ؛ الأحزاب / ٣٣ ؛ الفتح / ٢٦) وأيضاً في روايات الأئمة الأطهار (ع) (على سبيل المثال، انظر: الكليني، ١٩٨٧، ج ٥: ٣٤٤ و ٣٤٠ ؛ ج ٣: ٣٩٥) توضح أن النصوص الدينية قد نظرت في المعتقدات والثقافة والأخلاق والعادات غير الصحيحة لهذه الفترة، قبل الإشارة إلى

خطب أخرى، والتي تدل على التغيير والصيرورة، للتعبير عن تغيير معايير وأخلاق وأهداف المجتمع الإسلامي في عصره مقارنة بالمجتمع الإسلامي في زمن الرسول الكريم (ص). وقد ذكر بعض المكونات الأخلاقية، واعتبرها بعيدة عن المعايير الدينية (الخطب ٣٢، ٤١، ١٢٩). في الخطبة ٢٣٣، ومن وجهة نظر أخرى، ذكر ثماني حالات من العلامات والمكونات الأخلاقية للمجتمع في عصره، وكلها من رذائل الأخلاق الاجتماعية. في الخطبة ١٦٦، يعدد علامات الجاهلية الأخلاقية للناس ويحذرهم من العودة للجاهلية قائلاً: «وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَغْفُلُونَ» (الخطبة ١٦٦). من الواضح أن هذا الوضع نشأ من وجهة النظر غير الدينية والجاهلية للناس وبعدهم عن المعايير الدينية.

التعصب العرقي والقبلي

من أهم وأبرز أخلاق الجاهلية التي عرفت الجاهلية بها، هي التحيزات العرقية والقبلية الشديدة والعمياء تجاه الأسلاف والأقارب، والطاعة العمياء لكبار القبائل. ولهذه الرذيلة الاخلاقية تاريخٌ طويل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وقد أثرت تأثيراً بالغاً على أخلاقهم وأفكارهم ومعتقداتهم. وقد أزيلت هذه الأخلاق في عهد النبي الاكرم (ص) بتوجيهاته وسياساته واستبدلت بالمودة والأخوة (الخطبة ٥٦)؛ ولكن بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وبسبب سياسات الخاطئة للحكام، أعيد إحياؤها مرة ثانية وظهر أثرها في العديد من القضايا، ولعل هذه التحيزات هي التي دفعت ببعض لمعارضة خلافة الإمام علي (ع) وإزاحته عن السلطة لمدة ٢٥ عامًا، رغم أوامر النبي (ص) في ذلك.

الخطبة رقم ١٩٢ هي أطول خطبة في نهج البلاغة، حيث ذكر المفسرون أن سبب صدور هذه الخطبة هو محاربة التحيزات العرقية والقبلية لأهل الكوفة (خوئي، ١٩٨٠، ج ١١: ٢٦٧). يذكر الإمام علي (ع) في هذه الخطبة أن الشيطان (إبليس) كان أول من عصى الأمر الإلهي بسبب الأنانية والتعصب ولم يسجد لآدم. في هذه الخطبة، يعتبر عليه السلام أن السبب الرئيسي للتحيز هو إما خداع الجاهلين أو التأثير على عقول الحمقى وقد

تلك الفترة الزمنية المحددة. كتب أحد المفسرين المعاصرين عن هذا الأمر: الجاهلية ليست فترة زمنية محددة، ولكنها تشير إلى الظروف التي قد تحدث في المجتمعات المختلفة (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج ٢: ٨٩١، تفسير الآية ٥٠ من سورة المائدة).

وقد ذكر أمير المؤمنين (ع) كرازا ومراراً خصائص الثقافة الجاهلية وحذر الناس من العودة إليها. ولطالما شدد عليه السلام على أن العرب لا ينبغي أن ينسوا كيف عاشوا و من أين انتشلتهم رسالة الرسول الكريم (ص) وجهوده وإلى أين أوصلتهم. لذلك أكد في كثير من خطبه على دور النبي الأعظم (ص) وأحياناً أهل بيته (ع) في إنقاذ العرب من الجاهلية. و وفقاً لكلام أحد العلماء المعاصرين إن خصائص الجاهلية خلال فترة حكمه عليه السلام بأكملها، كانت ذات دور مضاد لخطة واستراتيجية الإمام علي (ع) (دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦).

ويبدو أن صدور هذه الكلمات من قبله يرجع إلى هذه الحقيقة أن بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) تغيرت العديد من القيم الدينية في ذلك المجتمع وعادت جماعة من الناس إلى ماضيها الجاهلي وأحييت الأخلاق والثقافة الجاهلية. وقد بين الإمام علي (ع) هذه المسألة بصراحة في خطبتين من نهج البلاغة. قال في الخطبة ١٥٠: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ (صلى الله عليه وآله) رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ» وفي الخطبة ١٩٢ يقول لهم مقارناً بين أخلاق الناس في عهده والجاهلية: «وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَغْرَاباً»^١.

الخطب ذات الصلة بأخلاق الجاهلية

بالإضافة إلى الخطبتين السابقتين، أشار الإمام علي (ع) في بعض خطبه الأخرى إلى تغيير المعايير الأخلاقية والعقائدية في المجتمع، واعتبرها بعيدة عن القيم الدينية والإسلامية ومنطبقة على القيم والأخلاق الجاهلية. وقد استخدم عليه السلام كلمة (أصبح)، في ثلاث

١. وفي الرسالة ٦٢ التي أرسلها إلى مالك الأشتر قال: «حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْيِ دِينِ مُحَمَّدٍ» (الرسالة ٦٢).

ذكر طريقة التخلص منه (الخطبة ١٩٢).

يذكر الإمام علي (ع) في خطب أخرى أن قريش هي التي قطعت قرابته واغتصبت حقه (خطبة ١٧٢ وانظر أيضًا: خطبة ٢١٧) ؛ وكان هذا السلوك بسبب التعصبات العرقية لهم. كما يدل البحث على أن كلمة "قريش" في نهج البلاغة قد استخدمت تسع مرات (٩ خطب) في خطب نهج البلاغة، منها (٦ خطب) حول موضوع التحيز العرقي، وتأثيره على أخلاق وقرارات أهل زمانه وكبار العرب (انظر: الخطب ٢٧، ٣٣، ٦٧، ٩٣، ١٧٢، ٢١٧).^١

المجتمع الإحصائي للخطب المتعلقة بالجاهلية

بناءً على ما قد ذكر، يمكن اعتبار سبب صدور الخطب التالية هو عودة أهل المجتمع إلى ثقافة الجاهلية وإحياء بعض الأخلاق الجاهلية لدى بعض الناس بعد وفاة الرسول الكريم (ص):

١. خطب وصف فيها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الكريم (ص) بالعودة إلى الجاهلية.
٢. الخطب التي ذكر فيها بعض العادات الجاهلية وثقافتها وبين دور الرسول الكريم (ص) وجهوده لإنقاذ البشرية، وخاصة العرب قبل الإسلام.
٣. الخطب التي يتم فيها ذكر مكونات أخلاقيات الجاهلية على وجه التحديد وشرحها وتطبيقها على الثقافة الأخلاقية للمجتمع في ذلك الوقت.
٤. خطب اشتكى فيها من التحيزات العرقية والقبلية ودعا الناس إلى نبذها والتجنب منها.

في البحث عن هذا الموضوع، توجد كلمات مفتاحية مثل: «أرسله» (١٢ خطبة: ٢، ٨٣، ٨٩، ٩٤، ١٠٠، ١١٦، ١٣٣، ١٥٨، ١٦١، ١٨٥، ١٩٥، ٢١٣) و «بَعَثَهُ» (الخطب ٩٥، ١٧٥، ١٩٦) وكذلك "ابْتَعَثَهُ" (الخطبتان ١٦١ و ١٩١) هي كلمات مناسبة لاسترجاع الخطب المتعلقة بذكر صفات الرسول

الاعظم (ص). وكذلك كلمات مثل "الجاهلية" (في الخطب ٩٥ و ١٦٦ و ١٩٢) و "قريش" التي ذكرنا إحصائياتها سابقاً.

وبحسب الإحصائيات السابقة، قد تحدث الإمام علي (ع) في سبع عشرة خطبة (١٧ خطبة) عن الوضع الثقافي والأخلاقي والديني في فترة ما قبل الإسلام، ويُعد الناس عن تعاليم الأنبياء، وعدم وجود علامات السعادة والفتنة والاضطراب ووصف الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٠٤، ١٣٣، ١٥١، ١٥٨، ١٦٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨) وفي المجموع هناك تسع وثلاثون خطبة مختلفة (٣٩ خطبة) يوضح فيها عليه السلام صفات الرسول الأكرم (ص) ودوره في إرشاد الناس وإنقاذ البشرية من أخلاق وثقافة ومعتقدات الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٧٢، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١١٦، ١٣٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٨، ١٦١، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣١) (نك: دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦-٧٧ ؛ دين برور، ٢٠١٥: ٤٧-٥١). وقد ضمت بعض من هذه الخطب كلا الموضوعين، الأخلاق الجاهلية وثقافتها، ودور الرسول الأكرم (ص) كمنقذ للناس من مستنقع الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٥٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨).

إجمالاً، بعد حذف الخطب المكررة، صدرت ٥٢ خطبة بهذا السبب.

٢. الدنيوية وإهمال بالآخرة

الزهد أو التحرر من الملذات الدنيوية هو من القضايا الأساسية للفكر الديني ومن أهم عوامل النمو النفسي والروحي للإنسان، حيث أنه مرتبط بصفات وأخلاق عديدة. في روايات الأئمة الأطهار، تم اعتبار ترجيح الدنيا على الآخرة كأصل للعديد من الرذائل الأخلاقية، وفي المقابل التحرر من الانتماءات الدنيوية، تؤدي إلى تحصيل الفضائل الأخلاقية والتعالى والنمو

١. حالات أخرى استخدم فيها اسم قريش: الخطب ١٤٤، ١٩٢، ٢١٩، ولم يقصد قريش والتعصبات فيها، وقد ذكرت مرتين في العنوان وليس في النص.

٢. وردت هذه الكلمة في خطبة ٩١، لكنها لا تعني النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

في المجتمع؛ وبهذه الطريقة تحول حتى بعض النخب والصحابة إلى الدنيوية وتكديس الثروة وصاروا دنيويين حتى نسوا قيمهم الدينية ووضّعوا دنياهم قبل آخرتهم وأصبحوا أعداء الحق بسبب مصالحهم المادية (انظر: الخطبة ٣).

انتقد الإمام علي (ع) في خطاباته بشدة هذه السياسة المالية والإنفاق الذي لا حصر له من قبل الخليفة الثالث وشبّه هجوم بني أمية في خلافة الخليفة الثالث لسرقته بيت المال بجمل جائع هجم على نبتة ربيعية (الحكمة ٣). ولكن الإمام علي (ع) في بداية حكمه، ضمن ما عبر عن أسلوبه الاقتصادي، صرّح بأنه لن يقبل أي تقصير في شؤون بيت المال، وأمر بإعادة جميع أراضي المسلمين التي عهد بها عثمان بن عفان إلى غيره إلى بيت المال أو أصحابها (خطبة ١٥).

والإضافة إلى تلك الإجراءات التنفيذية، قام بتثقيف المجتمع و سعى في اصلاح وضعه الأخلاقي من خلال توعية الناس وتحذيرهم بدئانة الدنيا واهمية الآخرة. والواقع أن صرخات علي (ع) الموجهة إلى الأمة الإسلامية هي نتيجة الشعور بالخطر الاجتماعي الكبير الذي أفسد أخلاق الأمة الإسلامية (مطهري، ٢٠٠٠، ص ٢٥٧). من ناحية أخرى، فإن هذا الوضع الأخلاقي والاجتماعي للمجتمع هو سبب العديد من الخطب، والتي سنقدم إحصائياتها في السطور التالية.

تواتر موضوع الزهد في خطب نهج البلاغة

بسبب هذه الحاجة والضرورة الاخلاقية والاجتماعية المذكورة، حاول الإمام علي (ع) بطرق مختلفة وبالتكرار والتأكيد، أن يدعو قومه وجمهوره للتخلص من المتعلقات الدنيوية والعبرة من الموت وعدم إهمال الآخرة. أحياناً كان يتحدث عن الطبيعة المؤقتة للدنيا (الخطبة ١٧٣)، وأحياناً كان يذكر الناس بعدم استقرارها (الخطبة ٤٥)، كما كان يذكر مكانة وخصائص الحياة الدنيوية (الخطبة ٢٨) مصائبها المتزايدة وأفراحها المحدودة (الخطبة ١١٣) وغيرها. لكن يبدو أن أجمل أنواع الدعوات وأكثرها فاعلية هو الالتزام القوي للمتحدث بكلماته التي تحدث فيها مرات عديدة عن التزامه وقد كان يفخر به. تكمن أهمية هذه

الروحي للإنسان (انظر: ورام، ١٩٩٠، ج ١: ١٣١-١٣٢). ومع ذلك، يبدو أن الظروف الاجتماعية الخاصة والجو الفكري والأخلاقي الخاص الذي ساد المجتمع في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، دفعه إلى إيلاء هذه القضية اهتماماً خاصاً والتأكيد عليها أكثر من قضايا أخرى في خطبه.

وفقاً للتاريخ، تدفق ثروة هائلة في ذاك المجتمع وتخصيصها لفئات معينة من المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية، سبب بحدوث فجوة اقتصادية حادة في المجتمع الإسلامي. وغيّر مسير حياة بعض الصحابة وجعلهم دنيويين لدرجة أنهم رجّحوا الدنيا على الآخرة ونسوا القيم الدينية.

في عهد الخليفة الثاني، تم توزيع غنائم الخمس والجزية والضرائب الضخمة التي كانت تدفع للحكومة بعد الفتوحات الإسلامية (نصيب بيت المال) حسب السابقة في الإسلام والمشاركة في غزوات الرسول الأكرم (ص) و القبائل (الطبري، ١٩٦٧، ج ٣: ٦١٤). في زمن عثمان، استمر أسلوب تقسيم بيت المال على نفس الحال، وازيد إلى ذلك الإنفاق الشخصي وغير المحسوب، أدى إلى ازدياد هذه الفجوة الاقتصادية أكثر فأكثر (للحصول على معلومات حول التوزيع غير المسبوق للمال من قبل الخليفة الثالث، انظر: أميني، ١٩٩٥، ج ٨، ص ٣٩٠-٣٩٨ ؛ وكذلك مكارم شيرازي وآخرون، ج، شرح الخطبة الشقشقية). يتحدث المسعودي (٣٦٤د هـ) في مروج الذهب عن صفات الخليفة الثالث والمنازل والبساتين وأموال الخليفة الثالث وأصحابه مثل الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت ويعتبر ذلك نهاية الجود والكرم والبذل للخليفة الثالث (المسعودي، ١٩٨٩، ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٣). يستشهد البلاذري أيضاً بأن الخليفة الثالث اعتبر هذا حقاً له واعتبره نوعاً من المعاملة المشروعة لأقاربه ولم يسمح باستجواب أي شخص حول هذا الموضوع (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٦، ص ١٤٦).

التمييز في تقسيم بيت المال والسياسات الاقتصادية الخاطئة وإحياء الاختلافات العرقية ونسيان القضايا الأخلاقية والتعليمية، خلّق العديد من المشاكل الأخلاقية

الكلمات في أن الشخص يجب أن يؤمن ويلتزم بكلامه قبل دعوة الآخرين إلى شيء ما. قال في إحدى الخطب: «وَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ» (خطبة ٣)، ويقول في مكان آخر: «وَأَنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَى مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا» (الخطبة ٢٢٤).

تعتبر قضية الزهد في الدنيا وما يتصل بها من ذكر الموت ويوم القيامة من القضايا المهمة والمتكررة في نهج البلاغة وتدل على أن المجتمع في أمس الحاجة إليه وله أهمية كبيرة عند الامام علي (ع). تشير الإحصائيات إلى أنه في حوالي ٢٠٪ من الخطب تم ذكر قضايا الزهد وتجنب الدينوية (الخطب ٣-٢٨-٣٢-٣٣-٤٢-٤٥-٥٢-٦٣-٦٤-٨١-٨٢-٨٣-٨٦-٨٩-٩٩-١٠٣-١٠٩-١١١-١١٣-١١٤-١٢٨-١٢٩-١٣٢-١٣٣-١٥٧-١٦٠-١٦١-١٧٤-١٧٨-١٨٢-١٩٠-١٩١-١٩٦-٢٠٣-٢٢٢-٢٢٤)؛ كما تظهر القضايا المتعلقة بذكر الموت في حوالي ١٤٪ من الخطب (الخطب ١-٢٠-٢١-٢٨-٥٢-٦٤-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٩٠-٩١-٩٩-١٠٣-١١٣-١١٤-١٣٢-١٣٣-١٤٥-١٤٧-١٤٩-١٥٧-١٦١-١٦٨-١٨٧-١٩٠-١٩٦-٢٠٤-٢٢٦-٢٣٠) (حاجي خاني وآخرون؛ ٢٠١٦: ٨٤ و ٨٥).

وبحسب بحث المؤلف في نهج البلاغة، فقد استخدمت كلمة (دنيا) ١٢١ مرة في نصوص خطب مختلفة، منها ١٠٦ مرات كلمة "الدنيا"، و ٥ مرات كلمة "بالدنيا"، و ٦ مرات كلمة "دنياك"، ومرة واحدة "دنياها" ومرتات "دنياهم" ومرة واحدة "دنيا"؛ كما لوحظت كلمة "الآخرة" في نص الخطب ٤٠ مرة، واستخدمت كلمة "الموت" ٤٣ مرة في خطب مختلفة، منها ٣٧ مرة "الموت" و ٦ مرات "بالموت"؛ وجاءت كلمة "القيامة" ١٨ مرة في نص الخطب.

إجمالاً، بما في ذلك التكرار في الإحصائيات أعلاه، فإن القضايا المتعلقة بالزهد في الدنيا والاهتمام بالموت المذكورة في ٥٢ خطبة من نهج البلاغة.

شبهة الكيلاني حول الزهد في نهج البلاغة

من الشبهات التي طرحت حول نهج البلاغة في السنوات

الأخيرة شبهة كثرة الدعوة للزهد في هذا الكتاب. أثبتت هذه الشبهة لأول مرة من قبل محمد سيد كيلاني (د ١٩٩٨م)، وتقوم على هذا الادعاء بأن الأقوال التي تدور حول الرهبانية وترك الملذات والبركات الدنيوية، مما يتعارض مع روح الإسلام ويتناقض مع قواعد ومبادئ الدين الحنيف وضار بالمجتمع والحضارة الإسلامية وقد أدلى بها الصوفيون والرهبان تاركوا الدنيا (سيد كيلاني، د.ت: ٦٠-٦١)، كما قيل أن هذه المسألة نادراً ما نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله.

قد تمت كتابة العديد من البحوث والمؤلفات وقدم الباحثون إجابات مختلفة ردًا على هذه الشبهة (انظر: أسدي، ٢٠٠٧؛ حاجي خاني، ٢٠١٢ م) كما أن قضايا مثل الزهد وترك ملذات الدنيا وذكر الموت لا تتعارض مع روح الإسلام، وهناك العديد من الآيات والروايات حول هذا الموضوع. ومع ذلك، فإن الاهتمام بسياق إلقاء هذه الخطب يظهر بوضوح أن هذه الكلمات صدرت في موقف تغلغل فيه الدينوية والاختلاس في المجتمع الإسلامي بشكل عانى فيه حتى النخب والأصحاب المقربون من هذا المرض الأخلاقي، فكان من الضروري أن يقوم الحاكم الإسلامي ضد هذا الانحراف الكبير في المجتمع الإسلامي ويحذّر الناس منه بشتى الطرق ويحاول إصلاحه بالدعوة الشفهية والعملية (حاجي خاني وآخرون، ٢٠١٦: ٨٩) وإحياء هذا المبدأ من المبادئ الأخلاقية والفكرية للدين.

٣. نسيان مكانة أهل البيت (ع) في منظومة الفكر الإسلامي

ومن المحاور الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية الأخرى لنهج البلاغة، والتي تم تناولها في العديد من الخطب، التعبير عن فضائل ومكانة أهل بيت النبي (ص) من حيث المعتقد الديني وبيان دورهم في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى ذكر المكانة العالية لعقيدة المسلمين حول أهل البيت (عليهم السلام)، فقد تم ذكر واجبات ومحظورات المجتمع الإسلامي تجاههم. ولهذا النوع من الخطاب أيضاً سبب صدور عام، نظراً للأجواء السائدة في ذلك المجتمع والاحتياجات الملحة للشعب وجمهور

ثمره نفس الشجرة (الخطبة ٩٤). في خطب أخرى، وصفهم بأنهم شجرة النبوة، ومنزل الرسالة، والمكان الذي تأتي إليه الملائكة ومناجم المعرفة ومصدر الحكمة (الخطبة ١٠٩). في هذا الصدد، بعد ذكر صفات الرسول الكريم (ص) في خطب أخرى، والإشارة إلى مكانة أهل البيت (ع)، عزّفهم على أنهم محال أسرار العلوم النبوية التي لا توصف وهم حماة الدين (خطبة ٢).

وفي خطبة أخرى، أشار إلى صفات وخصائص أهل البيت (عليهم السلام)، وشرح مكانتهم في منظومة الفكر الإسلامي ودورهم وحقوقهم في المجتمع الإسلامي. بالإضافة إلى كونهم أهل البيت النبي الكريم (ص) وأقرب الناس إلى الرسول الأعظم (ص)؛ فهم يتميزون بصفات مكانة خاصة عند الله تعالى وأنهم معيار طريق الحق «نَحْنُ الشِّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْحَزَنَةُ وَ الْأَنْبَاءُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِنَا» (خطبة ١٥٤).

لذلك، في جزء آخر من خطبه، أكد على تفردهم وعدم الاستغناء عنهم وقدمهم على أنهم أعلى من جميع البشر وقد اختارهم الله تعالى؛ لذلك فإن مقارنتهم بالآخرين أمر خاطئ (الخطبتان ٢ و ٩٤). وفي خطبة أخرى، ذكر صراحة أن أي شخص ادّعى بمثل هذا الادعاء غيرهم فهو كاذب وظالم (خطبة ١٤٤).

وذكر أمير المؤمنين مراراً وتكراراً في خطبه أن السبيل الوحيد لإسعاد البشرية وهداية الإنسان هو اتباع أهل بيت النبي، وأشار إلى هذه المسألة بشق الطرق. وشبههم أحياناً بنجوم الأرض، النجوم التي تهددي البشرية بما (الخطبة ١٠٠)، وأحياناً أكد أن هداية البشرية وتقدمها ممكن فقط باتباع أهل البيت (ع) واتباع الآخرين أمر خاطئ (خطبة ٤، وخطبة ١٥٢). وفي خطبة أخرى دعا الناس إلى طاعة أهل البيت، وهي طاعة لا مخالفة فيها حتى لا يتقدم الناس عليها ولا يتخلفوا عنها (خطبة ٩٧). وأشار في خطبة أخرى إلى أن في اتباعهم لا يوجد الضلال أبداً، لأنهم يتحدثون بلسان الحق (خطبة ٨٧)، وفي أمان من الفتنة (خطبة ٩٣).

لذلك فإن عدم إتباع أهل البيت خروج عن الدين وعودة إلى الجهل. جاء في الخطبة ١٥٠ بعد ذكر صفات

المسلمين، فقد أدرج الإمام علي (ع) هذا الأمر المهم في خطبه نظراً للحاجة الاجتماعية والدينية للمجتمع.

إن أهل بيت النبي (ص) وخاصة الإمام علي (ع)، حسب الأحاديث النبوية الكثيرة والمتكررة، هم مفسرو القرآن ومنفذو أحكامه والسنة النبوية الشريفة، وقد تم عزّهم وإبعادهم عن السلطة والمجتمع بعد وفاة الرسول الكريم (ص) بالقوة وأصبحت أنشطتهم الدينية والاجتماعية والسياسية المختلفة محدودة للغاية. وقد ثبتت هذه المسألة كحقيقة تاريخية في العديد من الأبحاث^١. يقول الإمام علي (ع) في خطاب شرح فيه الوضع السياسي والاجتماعي للمجتمع في عصره: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا» (رسالة ٥٣).

الإشارة إلى مكانة أهل البيت في خطب نهج البلاغة

بعد وفاة الرسول الكريم (ص)، فقد أهل البيت النبي عليهم السلام المكانة الاجتماعية والسياسية التي رسمها لهم الرسول الكريم، وأصبح المجتمع والناس في عهد الإمام علي (ع) وحتى العديد من أصحابه وأنصاره، بالرغم من تأكيد النبي الكريم وأمره، مهملين وغير مدركين لفضائل أهل البيت (ع) ودورهم ومكانتهم الحقيقية في المجتمع؛ لذلك، كان من الحاجات العقائدية والأخلاقية الأساسية والملمحة للمجتمع توعية الناس وشرح المنزلة العلمية والدينية والاجتماعية لأهل البيت (ع) وتهيئة الظروف المناسبة لوجودهم وممارسة دورهم في مجتمع الإسلام، حتى يتم إنقاذ المجتمع وإعادة بناء الحضارة الإسلامية الأصلية. وعليه فقد صدر عدد من خطب الإمام علي (ع) لهذا السبب.

بعد ذكر صفات الأنبياء والرسول الاكرم (ص) والاشارة الى أنه أفضل رسل الله، يذكر أمير المؤمنين في بعض خطبه فضائل أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم للتعبير عن هذه الحقيقة بأنهم أفضل بيت على الإطلاق، فهم يتمتعون بصفات الأنبياء ولهم نفس المكانة، لأنهم

١. للحصول على تفاصيل أكثر حول هذه القضية، يمكن مراجعة: الامامه والسياسة لابن قتيبة الدينوري؛ تاريخ الخلفاء لرسول جعفريان؛ دور الأئمة في إحياء الدين لمرتضى عسكري؛ التاريخ العمومي الحديث لنجيد معارف وغيرها

الذين عادوا إلى الجاهلية بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله واتخذوا الطريق الخطأ: «وَصَلُّوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمُؤَدَّتِهِ...» (خطبه ١٥٠). وقد اعتبر مفسرو نهج البلاغة أن معنى "الرحم" و "السبب" في هذه الخطبة هو أهل البيت (ابن أبي الحديد، ١٩١٩، ج ٩: ١٣٤ ؛ شوشتری، ص. ١٩٩٧، ج ٣: ٥٢٢) وأن المعارضين عادوا إلى الجاهلية وضلوا بالتخلي عن الأوامر الإلهية ونقض إرادة الرسول الكريم (ص).

إحصائيات الخطب ذات الصلة بأهل البيت في نهج البلاغة

بحسب بحث المؤلف وكتاب تصنيف نهج البلاغة (بيضون، ١٩٩٧: ٣٣٧)، إن موضوع ذكر فضائل ومكانة ودور أهل بيت النبي الكريم (ص) مذكور في ٢٣ خطبة من نهج البلاغة (انظر: الخطب ٢، ٤، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٠٠، ١٢٠، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٦١، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٣٩) ويمكن أن يكون هذا هو سبب صدورها، أي شرح دور أهل البيت في المجتمع الإسلامي بعد ما نسي واهمل الناس مكانتهم.

١. شرح المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الإسلامي

من أهم القضايا المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية، الأخلاق السياسية المتبادلة بين الناس والحكام. ما هي حقوق الشعب وواجباته تجاه الحاكم؟ وبالمقابل ما هي حقوق وواجبات الحاكم تجاه الشعب؟ قبل بعثة الرسول الكريم (ص)، كانت قوانين المجتمع عادة ما تصاغ وتنقذ من قبل الطبقة الحاكمة ولصالحها، وحتى في المجتمعات ذات الحضارة والقانون، لم تمنح حقوقاً خاصة للفرد، ولكن كان القانون واتباعه أمراً موضوعياً. لكن في الدين الإسلامي، المعايير الأخلاقية سائدة في كل مكان وعلى جميع الأفراد، بمن فيهم الحكام والمواطنون أيضاً. فيجب أن يخضع سلوك السياسيين للتقييم الأخلاقي كالسلوكيات الإنسانية الاختيارية الأخرى.

من ناحية أخرى، عاش الإمام علي (ع) في مجتمع

وظروف كانت تُقبل فيها الحيلة والخداع في الحكومة، وكانت تعتبره ذكاءً وخبرة وحظيت باستحسان الرأي العام. يكتب ابن أبي الحديد: كان الناس في عهد الإمام علي (ع) يصفون أصحاب الدهاء والمخادعين مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة بالذكاء والحصافة (ابن أبي الحديد، ١٩١٩، ج ٢: ٣١٢) ومن ناحية أخرى، لم يكن هناك شرح للمبادئ والسياسات والحقوق والواجبات والمعايير الأخلاقية السياسية من منظور الإسلام وكان لابد من وصفها بشكل كامل ودقيق من قبل أحد الأئمة (ع).

لذلك فإن سبب صدور هذا الجزء من الخطب هو تحديد موقف ورؤية دين الإسلام تجاه الحقوق والواجبات والسلوكيات المتبادلة بين الحكام والشعب في النظام السياسي الديني، وشرح قضاياها بشكل كامل، قضايا مثل المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الشرعي، ومعايير اختيار الحكام والمتطلبات المعنوية والأخلاقية لهم وللناس في النظام السياسي الديني كجزء من قضايا الأخلاق الاجتماعية.

خطب الأخلاق السياسية في نهج البلاغة

اتبع أمير المؤمنين (ع) في فترة حكمته القصيرة، سياسة فريدة لم يسبق لها مثيل من قبله وبعده، حيث عبر في خطبه عن المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الإسلامي بشكل خاص وفريد من نوعه.

فقد ألغى النزعة الأحادية في الحقوق وأعلن رسمياً أن حقوق وواجبات الشعب والحكام هي حقوق وواجبات متبادلة وتؤثر على بعضها البعض. حقوق الشعب تعتبر واجبات الحكومة، وحقوق الحكام هو واجب الشعب تجاههم. إذا قام كل من الطرفين بأداء واجباته واحترام حقوق الطرف الآخر، فالعدالة والدين والأخلاق ستنمو وتظهر في المجتمع وسيطلب الشعب بقاء الحكومة؛ لكن بخلاف ذلك، فإن القهر والطغيان سيصبغان سائدين في المجتمع، وسيتم القضاء على الدين والقانون والأخلاق وستزداد البدعة في الدين ويعاني الناس من أمراض نفسية مختلفة (خطبة ٢١٦).

في خطب أخرى، يعطي أمير المؤمنين (ع) تقدم

أسباب صدور خطب الأخلاق السياسية في نهج البلاغة

وبحسب بحث المؤلف، فإن عبارة "الوالي" في الخطب (١٣١ و ١٣٨ و ٢١٦) و "الرعية" في الخطبة (٢١٦) ولفظ "بهذا الأمر" في الخطبة (١٧٣) هي كلمات ومصطلحات مناسبة تشير إلى الحكم السياسي ويمكن أن تدرس معها خطب الأخلاق السياسية.

كلمة "الحكومة" مستخدمة ثلاث مرات في نصوص الخطب وأربع مرات في عناوين الخطب من قبل الشريف الرضي والمصححين، ورغم أنها تبدو كلمة خاصة بهذا الصدد، إلا أن الدراسات تبين أن الموضوعات المستخدمة في هذه الخطب لا تشير إلى الأخلاق السياسية. بالإضافة إلى ذلك، هناك أشكال مختلفة لكلمة "إمام" في (٣ خطب) حيث جاءت على شكل معرفة "الإمام" وفي (١٠ خطب) وعلى شكل نكرة "إمام" وفي (٦ خطب) بشكل جمع "أئمة"، وفي (خطبتين) تم استخدام مصدر "الإمامة"، لأنه أحياناً يشير إلى الإمامة العامة وأحياناً وفقاً للمعتقد الشيعي، يشير إلى الإمامة الخاصة وأيضاً بسبب الاختلاف في المعاني والتفسيرات المقدمة لهذه الكلمات، فهي بحاجة إلى دراسة خاصة وإحصاءات دقيقة أخرى، إذاً لا تعتبر هذا المصطلح مناسب للإشارة إلى السياسة في المعنى العام في كل مكان.

تظهر الأبحاث أنه في ٣٣ خطبة على الأقل من نهج البلاغة، ذكرت مبادئ وسياسات الحكومة الدينية، وكذلك الواجبات الأخلاقية والمتبادلة بين الحكام والشعب تجاه بعضهم البعض، وكذلك المتطلبات الاقتصادية والعسكرية للحكومة. وهذه الخطب عبارة عن: (الخطب ٣، ٦، ١٥، ١٦، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٩٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣٢) (انظر: دين پرور، ٢٠١٥م، صص ٣١-٤٧ و كرم محمد، ١٣٦٦، صص ٢٤٢-٢٥٥).^١

الأخلاق على السياسة ويذم الحيلة والخداع في أي موقف ومن قبل أي شخص، وخاصة من قبل الحكام والسياسيين (الخطبة ٢٠٠).

التواضع وعدم التظاهر بالثراء من أجل التعاطف مع الفقراء (خطبة ٢٠٩)، واحترام الحريات المشروعة للناس وعدم تسريع عقوبتهم (خطبة ٤٠)، والصدق (خطبة ٢٠٠) والأمانة هي من أهم فضائل الأخلاق الاجتماعية والضرورات الأخلاقية للحكام والساسة. وبالمقابل فإن الأنانية والكبرياء والغطرسة وحب المدح والتملق (خطبة ٢١٦) والظلم والبخل والخوف والجهل والرشوة (خطبة ١٣١) من الرذائل الأخلاقية التي تنهى خطب نهج البلاغة عنها خاصة بالنسبة للحكام وقادة المجتمع.

قضايا أخرى مثل الإحسان للناس، وحماية الأموال العامة، وتعليم الناس (خطبة ٣٤)، وإقامة العدل في مختلف الجوانب، والعزم على مكافحة الفساد الاقتصادي تظهر في العديد من الخطب (انظر: الخطب ٣، ١٥، ٤٤، ١٢٦، ٢٢٤، ٢٣٢)؛ وعلى الرغم من أنه يمكن اعتبارها للوهلة الأولى فعلاً أو عملاً جوارحياً، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن السياق الرئيسي لهذه الأفعال متجذر في الأخلاق والشخصية والأفعال الجوارحية للفرد. في الواقع، الشخص أو الحاكم الذي يستخدم الأفعال المذكورة في الممارسة ويعتبرها واجبه، قد اتبع الطريقة الأخلاقية الصحيحة وستتحقق الشروط الأخلاقية اللازمة للحاكم فيه، على عكس الشخص أو الحاكم الذي يهمل هذه الأفعال ولا يبالي بها مما سيؤدي لتحقيق رذائل الأخلاق فيه وسيفقد الشروط الأخلاقية اللازمة للسيادة.

ومن أهم الآداب والمقتضيات الأخلاقية للناس تجاه الحكام، المذكورة في الخطب: طاعة القيادة، والالتزام بالولاء، والنصح والنقد البناء، والاستعداد العسكري للدفاع عن الوطن والدين (خطب ٣٤، ٢١٦). أما التملق والمديح لأصحاب الثروة والسلطة فهي أيضاً من الرذائل الأخلاقية التي يقوم بها عامة الناس لتحقيق أهدافهم المادية والدنيوية وتهينة الأرضية لخلق هذه الرذيلة بين الحكام (وكذلك الأغنياء) (الخطبة ٢١٦) وكلا الفئتين يجب عليها تجنبها.

١. استند ترتيب الخطب في كتاب نظام الحكم لدين برور على النسخة المصححة لفيض الإسلام التي أعيدت بترتيب صحي صالح على التوالي، بناءً على مطابقة الخطب وجداول مقارنة الخطب في إصدارات مختلفة.

الخاتمة والاستنتاجات

١. أسباب صدور خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج البلاغة هي: عودة الأخلاق والعادات الجاهلية، واهتمام المجتمع المفرط بالدين وإهمال الآخرة، ونسيان مكانة أهل البيت وعدم مراعاة الأخلاق تجاههم، وجهل الناس بالأخلاق السياسية، ومقتضيات الأخلاق المتبادلة بين الشعب والحكام.

٢. انتعشت أفكار الجاهلية وأخلاقياتها في المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وقد تحدث الإمام علي (ع) في ٥٢ خطبة من نهج البلاغة حول ضرورة محاربة هذه الثقافة وبين أخلاق وآداب الجاهلية وأشار إلى دور الرسول الأكرم (ص) في إرشاد الناس وإنقاذهم من الجاهلية.

٣. تسبب التمييز الاجتماعي والرفاه الاقتصادي لصالح طبقات معينة في المجتمع في انقسامات طبقية شديدة وعزز رذيلة حب الدنيا والجشع. كما استجاب

٤. إن جهل الناس والحكام بمتطلبات الأخلاق الاجتماعية المتبادلة بين الناس والحكام، وكذلك عدم شرح مبادئ وسياسات النظام الديني من قبل الآخرين، دفع الإمام علي (ع) للتعبير عنها في ٣٣ خطبة من نهج البلاغة.

٥. إن جهل الناس والحكام بمتطلبات الأخلاق الاجتماعية المتبادلة بين الناس والحكام، وكذلك عدم شرح مبادئ وسياسات النظام الديني من قبل الآخرين، دفع الإمام علي (ع) للتعبير عنها في ٣٣ خطبة من نهج البلاغة.

المصادر

القرآن الكريم

ابن أبي الحديد، عز الدين (١٩١٩). شرح نهج البلاغة. قم: كتابخانه آيت الله مرعشي نجفی.

ابن منظور، محمد (١٩٩٣). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

اسدي، عادل (٢٠٠٧). مع المشككين في نهج البلاغة. قم: مكتبة العزيزي.

اسعد، طارق (٢٠٠١). علم اسباب ورود الحديث. بيروت: دار الحزم.

اشرف آل طه، حيدر (٢٠١٩). اسباب صدور خطبه هادي اخلاق اجتماعي وتأثير آن بر نهج البلاغة. رساله دكتوراه، تهران: جامعة المذاهب الاسلامية.

امانلو، مسعود (٢٠١٤). توجه به سبب صدور به مثابه روشی برای پویایی اجتهاد در دوران معاصر. بلاغ مبین، ١٥-١٠٦.

اميني، عبدالحسين (١٩٩٥). الغدير في الكتاب والسنة والادب. قم: مركز الغدير للدراسات الاسلامية.

بلاذري، احمد (١٩٩٦). انساب الاشراف. بيروت: دار الفكر.

بيضون، لبيب (١٩٩٧). تصنيف نهج البلاغة. قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي.

حاجي خاني، علي (٢٠١٢). اصاله نهج البلاغة من منظور الدراسة الموضوعية الاسلوبية. تهران: دانشگاه تربيت مدرس.

حاجي خاني، علي، كاوس رويحي برندق و عليرضا صفاريان همداني (٢٠١٦م). شبهه دنياگريزي ويادمرگ در نهج البلاغة ونقد آن با تكيه بر فضای صدور. فصلنامه پژوهشنامه نهج البلاغة، ٨١-٩٨.

حنفي دمشقي (ابن حمزه)، سيدابراهيم (١٩١١). البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث الشريف. حلب: مطبعة البهاء.

خضري، علي (٢٠١٨م). نگرشی بر فخریات امام علي(ع) در نهج البلاغة (اسباب و انگیزه ها). پژوهشنامه نهج البلاغة، ٨١-١٠٤.

خوئی، حبيب الله (١٩٣٩). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تهران: مكتبة الاسلاميه.

دلشاد تهراني، مصطفى (٢٠١٣م). لوح بينائي. تهران: انتشارات دريا.

- دين برور، جمال الدين (٢٠١٥م). راهنما شناسی. تهران: بنیاد نهج البلاغة.
- _____ (٢٠١٥م). نهج البلاغة موضوعی (آیین حکمروایی). تهران: بنیاد نهج البلاغة.
- ریاحی مهر، باقر، سید عیسی مسترجمی (٢٠١٥م). نقش فضای صدور در نهج البلاغة. پژوهشنامه نهج البلاغة، ١١٥-١٣٢.
- سلیمانی، داود (پاییز وزمستان ٢٠٠٤م). اسباب صدور حدیث. مقالات و بررسیها، ٦٥-٧٩.
- السید رضی، سید محمد (بی تا). نهج البلاغة. (محقق: صبحی صالح) قم: دار الهجرة.
- سید کیلانی، محمد (بی تا). اثر التشیع فی الادب العربی. قاهره: لجنة النشر للجامعین.
- سیوطی، عبدالرحمن (١٤١٦ق/١٩٩٦م). اسباب ورود الحدیث او اللع فی اسباب ورود الحدیث. بیروت: دار الفکر.
- شوشتری، محمد تقی (١٩٩٧م). بهج الصباغة فی شرح نهج البلاغة. تهران: انتشارات امیرکبیر.
- ضیف، شوقی (بی تا). تاریخ الادب العربی. قاهره: دارالمعارف.
- طبری، محمد بن جریر (١٩٦٧م). تاریخ طبری. بیروت: دار التراث.
- قطب، سید (٢٠٠٤م). فی ظلال القرآن. بیروت: دار الشروق.
- کریم محمد، اویس (١٩٨٧م). المعجم الموضوعی لنهج البلاغة، مشهد: بنیاد پژوهشهای اسلامی آستان قدس رضوی.
- کلینی، محمد (١٩٨٧م). الکافی. تهران: دار الکتب الاسلامیة.
- مسعودی، عبدالمهادی (١٩٩٧م). عرضه حدیث بر امامان. علوم حدیث، ٢٩-٥٤.
- مسعودی، علی (١٩٨٩م). مروج الذهب. قم: دار الهجرة.
- مطهری، مرتضی (٢٠٠٥م). جامعه و تاریخ. در مجموعه آثار شهید مطهری. تهران: انتشارات صدرا.
- _____ (٢٠١٤م). سیری در نهج البلاغة. تهران: انتشارات صدرا.
- معارف، مجید (٢٠٠٦م). رابطه تاریخ وفهم و نقد حدیث. پژوهش دینی، ٥٣-٧٠.
- مکارم شیرازی، ناصر (١٩٩٦م). پیام امام. تهران: دارالکتب الاسلامیة.
- موسوی، محسن باقر (٢٠٠٢م). المدخل الی علوم نهج البلاغة. بیروت: دار العلوم.
- هیئت تحریریه نهج البلاغة (١٩٩٤م). با نهج البلاغة آشنا شویم. در نهج البلاغة و گردآورنده آن (ص. ١٥٧-٢٠١). تهران: بنیاد نهج البلاغة.
- ورام، مسعود (١٩٩٠م). تنبیه الخواطر و نزهة النواظر (مجموعة ورام). قم: مكتبة فقیه.

جایگاه فضای صدور در خطبه‌های نهج البلاغه با تکیه بر موضوع اخلاق اجتماعی

سید حیدر اشرف آل طه^۱، علی اسودی^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۹۸/۰۶/۱۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۰۲/۲۳

۱. استادیار علوم قرآن و حدیث مرکز آموزش زبان دانشگاه امام صادق (ع) تهران، ایران

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران

چکیده

فضای صدور احادیث به اوضاع و شرایط فرهنگی، سیاسی و اجتماعی جامعه در زمان صدور روایات، اطلاق می‌شود و با توجه به آنکه بخش قابل توجهی از سخنان معصومان (ع) بر اساس نیاز افراد یا جامعه زمان خود ایراد شده، شناخت و فهم سبب صدور سخنان آنها، تأثیر بسزایی در فهم صحیح کلام ایشان خواهد داشت. در این میان خطبه‌ها از آن روی که بر اساس مقتضیات زمان و تفکرات گویشوران ایراد شده، در این مورد از اهمیت بیشتری برخوردار خواهد بود. این پژوهش با رویکرد توصیفی تحلیلی و با روش گردآوری کتابخانه‌ای به بررسی اسباب صدور عام خطبه‌های اخلاق اجتماعی جامعه اسلامی در نهج البلاغه می‌پردازد و بر اساس تحلیل متن خطبه‌ها و نیز تاریخ و سیره امام علی (ع)، سبب صدور خطبه‌ها را مورد بررسی قرار داده است. یافته‌های پژوهش حاکی از آن است که امام علی (ع) در خطبه‌های خود، چهار موضوع محوری را بیشتر مورد توجه و تأکید قرار می‌داد. زنده شدن دوباره اخلاق و تفکرات جاهلی از جمله تعصبات قومی و قبیله‌ای، دنیاپرستی و اهمال مرگ و آخرت توسط مردم، فراموشی نقش و جایگاه اهل بیت در جامعه اسلامی و بیان اخلاق اجتماعی متقابل حاکمان و مردم چهار محور اساسی در خطبه‌ها می‌باشد. همچنین امام علی (ع) بر اساس نیاز جامعه و فضای اخلاقی و اجتماعی حاکم بر آن، برای اصلاح و تعدیل این مؤلفه‌ها و راهنمایی مردم درباره هریک از موضوعات فوق‌الذکر سخنان ویژه‌ای را در خطبه‌های خود جای داد. جامعه آماری هریک از مؤلفه‌ها در نهج البلاغه نیز به‌عنوان نمونه بارز سخنان امیرالمؤمنین (ع) می‌تواند نشانه مناسبی برای میزان اهتمام ایشان به آنها تلقی شود.

کلیدواژه‌ها: سبب صدور، نهج البلاغه، اخلاق اجتماعی.